

حتمية الفداء

بقلم
القمص زكريا بطرس

الناشر : www.fatherzakaria.com

رأينا في الكتاب السابق (صلب المسيح) كيف أن الله خلق آدم في حالة الطهارة والبر، وعندما أخطأ بغواية الشيطان سقط من الحياة الأبدية، ونفى من فردوس النعيم، وجلب على نفسه حكم الموت طبقاً لحكم الله العادل. ولكن الله في عمق محبته، وكامل رحمته، شاء أن يغفر لآدم وبنيه خطاياهم، ويصفح عن عقابهم. هذا الموضوع ليس أمراً سهلاً فكيف أن الله بعد أن يصدر حكماً بالعقوبة، يلغي هذا الحكم ويستبدله بالعفو وهو الكامل في عدله.

فإن عفي الله عن آدم المخطئ وبنيه فأين عدله؟!
وإن كان الله لا يعفو عن آدم وبنيه فأين رحمته?!

وهكذا نرى أن في الأمر مشكلة كبرى! تحتاج إلى حل حكيم للتوفيق بين العدل والرحمة.

وهذا هو موضوع بحثنا في هذا الكتاب، حيث نعلن الحل الحكيم الذي دبرته حكمة الله الكاملة، مؤيداً بآيات الكتاب المقدس، وسنورد شهادة الإسلام عن ذلك أيضاً.

المؤلف

حتمية الفداء

الفصل الأول: في المسيحية
الفصل الثاني: في الإسلام

الفصل الأول:

الفداء في المسيحية

في هذا الفصل سنلقي الضوء على موضوع الفداء من وجهة نظر المسيحية، ولهذا سوف نتكلم عن: فكرة الفداء عموماً، وفداء البشرية بصفة خاصة، ثم نوضح عمل الفداء وما يشتمل عليه من بركات.

أولاً: فكرة الفداء

لكي نعطي فكرة مبسطة عن الفداء من وجهة نظر مسيحية يلزمنا أن نتكلم عن: مفهوم الفداء، ثم نعطي أمثلة عن الفداء من الكتاب المقدس.

١- مفهوم الفداء:

الفداء هو التخليص من الموت ببذل (شخص بديل) . أي أن يتحمل الشخص الذي سيقوم بعملية الفداء الحكم المحكوم به على الشخص المفدى.
أو بمعنى أبسط : الفداء هو أن يموت الفادي بدلاً عن المفدى.

٢- أمثلة للفداء:

لقد وضح الله فكرة الفداء هذه بطرق شتى تقتصر على ما يأتي:

أ- فداء اسحق:

لقد أمر الرب إبراهيم قائلاً: " خذ ابنك وحيدك الذي تحبه اسحق، واذهب إلى أرض المريا (اسم جبل)، وأصعده هناك محرقة".

فذهب إبراهيم كما أمره الرب، وعند ما وصل إلى المكان المعين يقول الكتاب أنه "ربط اسحق ابنه ووضع على المذبح فوق الحطب. ومد إبراهيم يده وأخذ السكين ليذبح ابنه. فناداه ملاك الرب من السماء وقال: "إبراهيم إبراهيم لا تمد يدك إلى الغلام ولا تفعل به شيئاً. لأني علمت أنك خائف الله، ولا تمسك ابنك وحيدك عني. فرفع إبراهيم عينيه ونظر وإذا كبش وراءه ممسكاً في الغاب بقرنيه . فذهب إبراهيم وأخذ الكبش ، وأصعده محرقة عوض عن ابنه". (تكوين ٢٢: ١-٢٣)

لاحظ يا أخي في هذه الحادثة أن الرب بعد أن أمر إبراهيم بأن يذبح ابنه ويقدمه محرقة، عاد فعفي عنه وخلصه من ذبح اسحق والغى هذا الأمر!!

حقيقة يا أخي لا يمكن أن الله ينقض كلامه ويبدله، ومن أجل ذلك فقد أوجد كبشاً ليذبح عوضاً عن اسحق، وهذا هو ما يسمى بالفداء. فالكبش تحمل الحكم (وهو الذبح) عوضاً عن اسحق.

ب- فداء كل بكر إنسان:

يذكر الكتاب المقدس أنه عند ما كان بنو إسرائيل في أرض مصر وقد أذلهم فرعون، أرسل الرب موسى النبي لينقذهم من يده ويخرجهم من أرض مصر.

ولكن فرعون عارض بشدة ولم يطلقهم بسهولة فضربه الرب هو وشعبه بالضربات العشر. وكانت الضربة الأخيرة هي قتل كل بكر في أرض مصر من بكر الإنسان إلى بكر البهائم.

وبالرغم من وجود بني إسرائيل في أرض مصر في ذلك الوقت إلا أنه لم يصب أبكارهم شيئاً من هذه الضربات. لماذا؟ لأن الله قد جعل لهم شريعة في تلك الأيام وهي أن يذبح كل بيت حملاً ويقدمونه ذبيحة للرب عوضاً عن كل بكر ليكون فدية عنه. هذا ما أمر به الرب قائلاً: "كل بكر إنسان من أولادك تقديه" (خروج ١٣: ١٤).

ولاحظ يا أخي أن بكر كل إنسان كان لابد أن يقتل أسوة بأبناء المصريين لأن أمر الرب كان للملاك بأن يقتل كل بكر في أرض مصر (خروج ١٣: ١٤) فكان لابد أن يقتل أيضاً أبكار الإسرائيليين لأنهم كانوا في أرض مصر. ولكن الرب ينقذهم من هذه الضربة فلا يقتل أبكارهم، ولكي يوفق بين أمره الأول بموت الأبكار وعفوه الثاني أن لا يموت أبكار الإسرائيليين، لهذا شرع لهم شريعة الفداء قائلاً: "كل بكر إنسان من أولاد تقديه" (خروج ١٣: ١٣).

ج - ذبائح الفداء للتكفير:

يتضح موضوع الفداء تماماً في العهد القديم، حيث كان الإنسان الذي يرتكب خطية يقدم فدية عن نفسه ليخلص نفسه من عقاب الله الذي يستحقه، فقد جاء في الشريعة أنه: "إن أخطأ أحد وعمل واحدة من جميع مناهي الرب التي لا ينبغي عملها، كان مذنباً وحمل ذنبه. فيأتي بكبش صحيح من الغنم. فيكفر عنه. فيصطح عنه" (اللاويين ١٧: ٥-١٩)

وجاء أيضاً في الشريعة أنه: "إن سها كل جماعة إسرائيل، وعملوا واحدة من جميع مناهي الرب التي لا ينبغي عملها وأثموا ثم عرفت الخطية التي أخطأوا بها، يقرب المجمع ثوراً ابن بقر ذبيحة خطية. ويكفر عنهم فيصطح عنهم" (لاويين ٤: ١٣-٢١)

ولاحظ يا أخي أنه بحسب عدل الله لابد لمن يخطئ أن يموت (حزقيال ١٨: ٢٠)، ولكن من أجل رحمته لابد أن يصفح عنه. وللتوفيق بين عدل الله ورحمته وضعت هذه الشريعة، شريعة الفداء فيقدم الفرد كبشاً وتقدم الجماعة ثوراً للتكفير ليصفح عنهم.

من هذا يا أخي يتضح لك فكرة الفداء التي شرعها الرب للتوفيق بين عدله ورحمته.

ثانياً : فداء البشرية

عرضنا في النقطة السابقة: فكرة عامة عن الفداء من حيث مفهومه، وقد أوردنا بعض الأمثلة من الكتاب المقدس في العهد القديم توضح ذلك. والواقع إن فكرة الفداء هذه التي وضحها الرب في العهد القديم لم تكن إلا تمهيداً ورمزاً للفداء الحقيقي الذي دبره الرب لخلص البشرية كلها من حكم الموت فالكباش والثيران لا تكفي لفداء الإنسان، وعدالة الله في الحقيقة لا ترضي بفداء الحيوان للإنسان. وإن كانت قد سمحت بذلك في العهد القديم فما كان ذلك إلا صورة ورمزاً للفداء الحقيقي. فالفداء الحقيقي يركز حول قول بولس الرسول:

"إن كان واحد قد مات لأجل الجميع فالجميع إذا ماتوا" (٢كو ٥: ١٤) فلا بد من موت (واحد) فدية عن الجميع. ولكن أي (واحد) هذا يا تري الذي يقدر أن يفدي البشرية كلها؟ الواقع أنه ليس هو مجرد (واحد) عادي، وإنما لابد أن تكتمل في هذا الواحد الذي سيفدي البشرية شروط معينة نببحثها فيما يلي:

١- شروط الفادي:

قلنا أنه يجب أن تتوفر في الفادي باعتبار أنه سيفدي البشرية كلها شروط معينة إذ لا بد أن يكون الفادي: غير محدود، وفي نفس الوقت يكون إنساناً، ولكن لا بد أن يكون إنساناً طاهراً.

فدعنا نستوضح هذه الشروط فيما يلي:

أ- الفادي غير محدود:

هذا هو أول شرط يجب أن يتوفر في الفادي لما يأتي:
إن الخطية تُقدر قيمتها وفقاً لقيمة الشخص المُخطئ في حقه، وعقوبتها أيضاً تقاس طبقاً لمركزه، والتكفير عنها يتناسب مع قيمته. فمثلاً إذا أخطأت في حق زميل لي، تكون خطيتي محدودة ولا تحتاج لأكثر من اعتذار. أما إذا أخطأت في حق (صاحب السلطة) فإنني أستحق عقوبة شديدة ولا يكفي لها مجرد الاعتذار. وهكذا إذا أخطأت في حق الله فإن خطيتي تعتبر غير محدودة، لأن الله غير محدود وأستحق عقاباً غير محدود، ولهذا فإن فدائي يحتاج إلى كفارة غير محدود.

لذلك فإن الفادي الذي يكفر عن خطيتي يجب أن يكون غير محدود.
هذا عن الشرط الأول من شروط الفادي، أما الشرط الثاني فيجب أن يكون:

ب- الفادي أنساناً:

إذ لا بد أن يكون الفادي من جنس المفدي ومساوياً له في القيمة. فلا يصلح إذن الحيوان أن يفدي الإنسان لأنه ليس من جنسه ولا من قيمته. لهذا يجب أن يكون الفادي إنساناً ليفدي الناس.

كان هذا بخصوص الشرط الثاني من شروط الفادي، وأيضاً لا بد أن يكون:

ج- الفادي طاهراً:

وهذا هو الشرط الثالث الذي يجب أن يتوفر في الفادي ذلك لأنه إن كان هو نفسه خاطئاً فإنه لا يستطيع أن يفدي غيره وإنما يموت بخطية نفسه فقط.
إذن من هو الفادي الذي تكتمل فيه هذه الشروط؟

هل الحيوان تتوفر فيه هذه الشروط؟ كلا فالحيوان مخلوق محدود، وهو ليس إنساناً.

هل الملاك تتوفر فيه هذه الشروط؟ كلا. فالملاك مخلوق محدود، وهو أيضاً ليس إنساناً.

هل يوجد نبي تتوفر فيه هذه الشروط؟ كلا. فالنبي مخلوق محدود، وهو أيضاً ليس طاهراً. إذ أنه من نسل آدم الذين تلوثت دماؤهم بجراثيم الخطية!
إذن من هو الفادي الذي تكتمل فيه هذه الشروط؟

٢- الفادي الوحيد:

رأينا في النقطة السابقة الشروط التي يجب أن تتوفر في الشخص الذي يفدي البشرية، ورأينا أيضاً أنه لا يصلح لفداء البشرية حيوان ولا ملاك ولا نبي. إن مشكلة الفداء هذه قد أوجد الله لها حلاً وحيداً فريداً بحكمته الفائقة، وهذا الحل هو شخص يسوع المسيح الفادي. ولنبحث الآن كيف اكتملت شروط الفادي في شخص المسيح.

أ- الله وحده غير محدود:

لا يوجد يا أخي كائن غير محدود سوى الله وحده، لهذا فلا يوجد سوى حل واحد للمشكلة وهو أن يتنازل الله ويفدي الإنسان.

ولهذا دبر الله أن يحل روحه غير المحدود في جسد المسيح البشري المحدود ليكسبه صفة غير المحدودية المطلوبة في الفادي. وهذا ما وضعه الكتاب المقدس بقوله: "عظيم هو سر التقوى الله ظهر في الجسد" (١ تي ٣: ١٦) (ولمزيد من فهم سر التجسد الإلهي انظر كتاب المسيح ابن الله للمؤلف)

ب- المسيح إنسان:

فإنه أخذ من مريم العذراء جسداً وحل فيه بروحه، لذلك فالمسيح من جهة الجسد هو إنسان كامل. فقد قال عنه بولس الرسول أنه "أخلى نفسه آخذاً صورة عبد صائراً في شبه الناس. وإذ وجد في الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتي الموت موت الصليب" (فيلبي ٢: ٧، ٨)

ج- المسيح طاهر:

وهذا الشرط أيضاً قد اكتمل في المسيح. فبطرس الرسول يقول عنه: "لم يفعل خطية ولا وجد في فمه مكر" (١ بط ٢: ٢٢) وقد وقف المسيح أمام اليهود قائلاً: "من منكم يبيكتني على خطية" (يوحنا ٨: ٤٦)

من هذا يا أخي نرى أن يسوع المسيح هو الفادي الذي اكتملت فيه الشروط المطلوبة، فهو من جهة طبيعته الإلهية غير محدود، ومن جهة طبيعته البشرية هو إنسان، ومن جهة الطهارة فهو لم يعرف خطية قط. لذلك قدم نفسه ذبيحة على الصليب ليكفر عن خطايا البشرية ويموت فداءً عن الناس جميعاً، ولهذا يقول الكتاب المقدس "متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح. الذي قدمه الله كفارة بالإيمان بدمه لإظهار بره من أجل الصفح عن الخطايا السالفة" (رو ٣: ٢٥، ٢٤) هذا هو يسوع المسيح الذي به صار لنا الفداء بدمه غفران الخطايا. فهل تتخذه مخلصاً شخصياً لك. وهل تؤمن بكفارته لخطاياك وأثامك؟

ثالثاً: عمل الفداء

إن تحليل عمل الفداء نفسه والبركات التي حصلنا عليها أمر يطول شرحه ولكني أكتفي ببعض من تلك البركات فيما يلي:

١- الرحمة:

فالفداء يا أخي هو عمل رحمة من الله، إذ يقول الكتاب المقدس: "لا بأعمال في بر عملناها نحن بل بمقتضى رحمته خلصنا" (تيطس ٣: ٥). إذن ليس لأحد منا أي فضل في هذا الفداء وإنما هو صادر من قلب الله المحب والمفعم بالرحمة. أفلا يحق علينا أن نشكر الرب على رحمته الجزيلة.

٢- الشفاعة:

معنى الشفاعة هو أن يتوسط المسيح بين الله والناس ليمنع عقابه عنهم لأنه مات بدلاً منهم. لهذا يقول الكتاب المقدس: "لنا شفيع عند الأب يسوع المسيح البار، وهو كفارة لخطايانا، ليس لخطايانا فقط، بل لخطايا كل العالم أيضاً" (١ يوحنا ٢: ١)

وهو الشفيع (أي المحامي) الوحيد الذي لا يستطيع غيره أن يخلص فالكاتب المقدس يقول "ليس بأحد غيره الخلاص. لأنه ليس اسم آخر تحت السماء قد أعطي بين الناس به ينبغي أن نخلص" (أع ٤: ١٢)

٣- الموت عوض البشرية:

يقول بولس الرسول "إن كان واحد مات عن الجميع فالجميع إذن ماتوا" (١ كو ٤: ١٤) فموت المسيح عن البشرية أعبر في عدالة الله أنه مات للبشرية كلها لأن المسيح أسلم نفسه لأجلنا كما يقول الكتاب المقدس عن المسيح "أنه أحبنا أيضاً وأسلم نفسه لأجلنا قرباناً وذبيحة لله رائحة طيبة" (أفسس ٥: ٢) ولهذا نقول في صلاة القداس الإلهي "هذا الذي أحب خاصته الذين في العلم وأسلم ذاته فداءً عنا إلى الموت الذي تملك علينا" (القداس الباسيلي)

٤- إحياء البشرية:

فالسيد المسيح لم يصلب عن البشرية فحسب وإنما قام من الأموات ليقيم البشرية معه من موت خطاياها لتسلك في حياة جديدة مقدسة. فقد قال الكتاب "ونحن أموات بالخطايا (أي تحت حكم الموت كعقوبة للخطية) أحيانا مع المسيح (أي رفع عنا حكم الموت وأعطانا حياة من جديد مع المسيح). وأقامنا معه (أي بقيامة المسيح من الموت أقامنا نحن أيضا من موت الخطية)" (أفسس ٢: ٤-٦)

ويقول أيضاً "كما أقيم المسيح من الأموات بمجد الآب هكذا نسلك نحن أيضاً في جدة الحياة" (رو ٦: ٤، ٥) فيا من مات المسيح من أجلك هل تعتبر نفسك مائتاً عن الخطية. أم مازلت عبداً لها؟ وهل قمت مع المسيح لتسير في حياة مقدسة؟ أم لازلت مسجى في قبر الخطية؟! اطلب منه أن يقيمك الآن في حياة جديدة طاهرة.

٥- تمجيد البشرية:

يقول الكتاب المقدس: "أجرة الخطية هي موت. أما هبة الله فهي حياة أبدية بالمسيح يسوع ربنا" (رو ٦: ٢٣) وهكذا نرى أن الله قد وهبنا الحياة الأبدية لأن المسيح يسوع قد مات عنا.

ويقول الكتاب أيضاً "ونحن أموات بالخطايا أحيانا مع المسيح وأقامنا معه وأجلسنا في السماويات في المسيح يسوع" (أف ٢: ٤-٦) فإذ قام المسيح من الأموات أقامنا معه وبهذا قد فتح لنا باب السماء لندخل إليها ونتمتع معه.

ولهذا يقول بولس الرسول "اسلكوا كما يحق لله الذي دعاكم إلى ملكوته ومجده" (أف ٢: ١٢)

فهل تسلك يا أخي في حياة النعمة والقداسة لتتمتع بالملكوت والمجد الأبدى؟

الفصل الثاني: الفداء في الإسلام

رأينا مما سبق ما يتعلق بالفداء من وجهة النظر المسيحية. وسنرى هنا وجهة نظر الإسلام في ذلك.

والواقع أن الفداء يتعلق بمشكلة العدل والرحمة كما رأينا في فصول سابقة، والإسلام أيضا يشهد بأن الله عادل وبعده حكم على البشرية بالموت من أجل خطاياهم كما جاء في (سورة البقرة) "من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار".

ولكن الإسلام يقر أيضاً أن الله رحيم ولا بد أن يغفر الخطايا ويخلص البشر من نار جهنم كما جاء في (سورة آل عمران) "وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها".

وهذا ليس بالأمر الهين أو البسيط بل إن الإسلام يشهد بأنها مشكلة ليست هينة إذ يقول القرآن في (سورة الزمر ١٩) "أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من في النار". وقد فسر الإمام النسفي ذلك قائلاً: "معناه أفمن حق عليه كلمة العذاب ينجو منه (أفأنت تنقذه) أي لا يقدر أحد أن ينقذه" (تفسير النسفي جزء ٤ صفحة ٤١) ولهذا نرى أن الإسلام يقر الفداء كما يتضح مما يلي :-

أولاً: فكرة الفداء في الإسلام

١- مفهوم الفداء:

يقول الإمام النسفي:
"الفداء هو التخليص من الذبح ببذل .. وليس هذا بنسخ للحكم، بل ذلك الحكم كان ثابتاً على طريق الفداء".
(تفسير النسفي جزء ٤ صفحة ٢١).

وهذا المفهوم يتفق تماماً مع المفهوم المسيحي للفداء، نعم إنها أرضية مشتركة.

٢- أمثلة للفداء:

ضربنا في معرض الحديث عن الفداء في المسيحية عدة أمثلة وهي: فداء اسحق وفداء بكر الإنسان وذبايح الفداء للتكفير.

وسنضرب أيضاً من الإسلام أمثلة تؤيد هذه النظرية:

(أ) فداء ابن إبراهيم :

لقد اختلف أئمة الإسلام في تحديد المقصود بابن إبراهيم، هل هو اسحق أم إسماعيل؟ فقال بعضهم أنه إسماعيل وقال آخرون أنه اسحق. وقد ذكر الإمام النسفي الرأيين فيما كتبه، وقد أثّرنا أن نقتبس كلامه بالحرف الواحد إذ قال:

"الذبيح إسماعيل وهو قول: أبي بكر وابن عباس وابن عمر وجماعة من التابعين رضى الله عنهم.
وعن علي وابن مسعود والعباس وجماعة من التابعين رضى الله عنهم أنه اسحق، ويدل عليه كتاب يعقوب إلى يوسف عليهما السلام: من يعقوب إسرائيل الله ابن اسحق ذبيح الله ابن إبراهيم خليل الله". (تفسير النسفي جزء ٤ صفحة ٢٠)

وطبعاً الأرجح هو أنه اسحق لأنه ثابت بالدليل السابق ذكره ولأن رواية التوراة والإنجيل تدل على أنه اسحق. على أي حال قد ذكر القرآن قصة هذا الفداء كالاتي:-

سورة الصافات ١٠١-١٠٧

"فبشرناه بغلام حليم. فلما بلغ معه السعي (أي يسعى مع أبيه في أشغاله) قال يا بني أنى أرى في المنام أنى أذبحك. فانظر ماذا ترى (أي ماذا تبصر من رأيك).
قال يا أبت أفتل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين فلما أسلما (أي انقادا لأمر الله وخضعا) وتلاه للجبلين (أي صرعه على جبينه ووضع السكين على حلقه)
ونادياه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا. إنا كذلك نجزي المحسنين. إن هذا لهو البلاء المبين (أي الاختبار البين) وفديناه بذبح عظيم".

وقد فسر هذه الجملة الأمام النسفي قائلاً:

"هنا إشكال وهو أنه لا يخلو ما أن يكون ما أتى به إبراهيم من بطحه (بطح ابنه) على شقه وإمرار الشفرة (السكين) في حلقه، في حكم الذبح أم لا؟ فإن كان في حكم الذبح فما معنى الفداء الذي ذكر في الآية القائلة وفديناه بذبح عظيم؟ والفداء هو تخليص من الذبح ببذل ... وقد وهب الله لإبراهيم الكباش لقيم ذبحه مقام تلك الحقيقة في نفس إسماعيل بدلا منه . وليس هذا بنسخ منه للحكم، بل ذلك الحكم كان ثابتاً على طريق الفداء. على أن المبتغى منه في حق الولد أن يصير قربانا بنسبة الحكم إليه ومكرما بالفداء". (تفسير النسفي جزء ٤ صفحة ٢١)

فلعلك تدرك من قول الإمام النسفي هذا تأكيدا لشريعة الفداء أي التخليص (أو الخلاص) من الحكم ببذل . ورغم أن الفادي هو الذي تحمل الحكم فلا يعتبر هذا نسخا (أي نقضا) للحكم ذاته بل تثبيتاً له وتكريماً لشخص المفدى.

(ب) فداء عبد الله بن عبد المطلب:

لقد نذر عبد المطلب جد الرسول نذراً لله بقوله يارب، لئن رزقت أولاداً عشرة وبلغوا أشدهم معي ، لأنحرن (أدبح) أحدهم لك عند الكعبة.

وعند ما رزق بأولاده العشرة، أراد ذبح من طلعت عليه القرعة، وهو عبداً لله أبو الرسول، فخرجت قريش لتمنع ذبحه، فقال لهم : وماذا أفعل وقد نذرت ذلك، فوجب على الوفاء ؟! قالوا : إن كان فداؤه بأموالنا فديناه، وإن كانت بأنعامنا (أي مواشينا) نحرنها في سبيله.

وعندما استشاروا العرافة، سألتهم: كم الديّة فيكم، إذا أردتم أن تقدوا مذنباً؟ قالوا : عشرة من الإبل.

قالت: تقربوا بها، فإن لم تقبل زيدوها عشراً بعد عشر حتى يرضى ربكم. وضربوا بالقداح (القرعة) بين عبد الله والإبل. فخرجت على عبد الله، فزادوا الإبل عشرة أخرى، وضربوا فخرجت كذلك على عبد الله، فما زالوا يزيّدون في الإبل وتخرج على عبد الله. وعبد المطلب قائم يدعو الله أن يقبل فداءه ويسمع شفاعته حتى بلغت الإبل مائة، فخرجت عليها. ففرح القوم وهللوا، وقالوا لعبد المطلب: لقد تقبل الله فداء ابنك يا عبد المطلب (عن كتاب المولد للشيخ محمد برانق ص ١٧)

يتضح لك من هذه الحادثة أيضاً فكرة الفداء، فعبد المطلب نذر أن يذبح أحد أبنائه لله، ولا بد أن ينفذ نذره، ولكنه إذ التجأ لرحمة الله، حتى لا يذبح ابنه، كان لزاماً عليه أن يرضى عدل الله بتنفيذ حكم الذبح في بديل بأن يقدم فداء عن ابنه ليموت عوضاً عنه.

أليس هذا مثل واضح عن مبدأ الفداء؟! ومثل ثالث نسوقه لتأكيد فكرة الفداء في الإسلام:

(ج) ذبائح عيد الأضحى:

فعيد الأضحى يعرف باسم (عيد التضحية والفداء) (جريدة أخبار اليوم بتاريخ ١٩٦٤/٤/٢٥) والذبائح التي تتحر فيه هي بقصد الفداء كما يتضح مما يلي:

كتاب دين الإسلام :

يسمى عيد الأضحى في بلاد الفرس (عيد قربان) أي الذبيحة، ويقال أثناء الوضوء في هذا العيد هناك: (اللهم اجعل هذه الذبيحة كفارة عن ذنبي وانزع الشر مني. (ص ٣٦٧)

كتاب الفقه:

روى مسلم عن أنس رضي الله عنه قال: ضحى النبي صلى الله عليه وسلم بكبشين أملحين أقرنين ذبحهما بيده الكريمة (جزء ١ ص ٧١١)

• كتاب مشكاة المصابيح: أن النبي وهو يذبح الكبشين قال: "اللهم هذا عني وعن من لم يضح من أمّتي" (ص ٤٢)

• كتاب إحياء علوم الدين : روى البزار وأبو الشيخ عن أبي سعيد قالاً: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا فاطمة قومي إلى أضحيّتك فأشهديها، فإن لك بأول نظرة من دمها أن يغفر لك ما سلف من ذنوبك. (جزء ١ ص ٢٤٣)

كتاب إحياء علوم الدين:

جاء فيه: "وأما ذبح الهدى (أي الضحية) هو تقرب إلى الله تعالى. فعليك أن تكمل الهدى (الضحية) واطلب أن يعتق (يحرر) الله بكل جزء منه (أي من الهدى أو الضحية) جزءاً منك من النار. فكلما كان الهدى (أو الضحية) أكبر وأجزأؤه أوفر كان فداؤك من النار أعم" (جزء ١ ص ٢٤٣)

من كل هذا يتضح لك جيداً أن ذبائح عيد الضحية يقصد بها الفداء والتكفير وبهذا قد اتضح لك اقرار الإسلام بفكرة الفداء.

ثانياً: فداء البشرية

والإسلام أيضاً يقر أنه لابد من فداء للبشرية، وأوضح هذا المعنى في قول القرآن :
سورة المائدة: "كتبنا على بنى إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس (أي من قتل نفساً بريئة لم تقتل نفساً) أو فساد في الأرض (أي نفساً طاهرة لم تفسد في الأرض) فكأنما قتل الناس جميعاً".

ولعلك تجد في هذا المعنى فكرة الفداء واضحة. فالناس لكونهم خطاة فهم مستحقين الموت كما سبق أن أوضحنا "من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار" (سورة البقرة).

ولكن إذا حمل هذا الحكم إنسان برئ طاهر، اعتبر موته موتاً للناس جميعاً. وهذا يقودنا أيضاً إلى بحث شروط الفادي من منطلق هذه الآية القرآنية:

١- شروط الفادي :

من حديثنا عن الفداء في المسيحية عرفنا شروط الفادي، وهنا نرى موافقة الإسلام أيضاً على نفس الشروط، فدعنا نستوضح ذلك على ضوء هذه الآية القرآنية السابق ذكرها وآيات أخرى غيرها:

(أ) الفادي غير محدود:

فلا يستطيع أحد أن يكفر عن خطيئة الإنسان غير المحدودة سوى الله الغير محدود، فنرى في القرآن ما يشهد لذلك كما يتضح من الآيات التالية:
سورة الطلاق: "من يتقى الله يكفر عنه سيئاته". أي أن الله هو الذي يكفر الخطايا.

سورة المائدة:

"لأكفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار".
فمن هذا يتضح أن الله وحده هو الذي يستطيع أن يكفر عن خطايا البشرية، لذلك نراه في الآية الأخيرة هذه يؤكد الأمر بقوله: لأكفرن أي أنه يؤكد أن الله بذاته هو الذي يكفر الخطايا.

(ب) الفادي إنسان:

ينبغي أن يكون الفادي إنساناً حتى ينوب عن البشرية ويعتبر موته موتاً للناس جميعاً كما نرى :

سورة المائدة (٤):

"كتبنا على بنى إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس [أي بريئاً لم يقتل نفساً] أو فساد في الأرض [أي طاهراً لم يفسد في الأرض] فكأنما قتل الناس جميعاً. ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً. فمن هذا يتضح أن الفادي الذي يستطيع بموته أن يكفر عن الناس جميعاً، لا بد أن يكون [نفساً] من طبيعة نفوس البشر، فيعتبر موته موتاً للناس جميعاً.

(ج) الفادي طاهر :

ففي نفس الآية السابقة نرى هذا الشرط أيضاً:

سورة المائدة:

"كتبنا على بنى إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض (طاهرة) فكأنما قتل الناس جميعاً".
فالشخص الذي يعتبر موته موتاً للناس جميعاً يجب أن يكون طاهراً لم يصنع فساداً في الأرض).

٢- المسيح الفادي:

أ- غير محدود :

لكونه كلمة الله وروح منه "إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه" (سورة المائدة). وقد قال الشيخ محي الدين العربي: "الكلمة هي الله متجلياً ... وهي عين الذات الإلهية لا غيرها". (كتاب نصوص الحكم جزء ٢ ص ٣٥). وقال أيضاً "الكلمة هي اللاهوت". (كتاب فصوص الحكم جزء ٢٤ ص ١٣٤) فبما أن المسيح هو كلمة الله وروح منه فهو غير محدود لأن روح الله غير محدود. (لزيادة المعرفة انظر كتاب المسيح ابن الله للمؤلف).

ب- إنسان:

والمسيح من جهة الناسوت (طبيعته الجسدية) هو مجرد إنسان عادي، فهذا ما قاله الملاك في بشارته لمريم، كما جاء في سورة مريم "قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً (أي طاهراً)" فهو يبشرها بغلام أي بشر طاهر.

ج- طاهراً:

فالقُرآن والحديث يشهد للمسيح بأنه الإنسان الوحيد الطاهر دون البشر جميعاً.

سورة مريم:

التي سبق ذكرها من قبل يقول فيها الملاك: "قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً (أي طاهراً)" فالمسيح بشر طاهر.

سورة آل عمران:

"وإني سميتها مريم وإني أعيذها بك وذريتها (أي المسيح) من الشيطان الرجيم". وقال الامام الرازي في تفسير كلمة (المسيح) "أنه مسح من الأوزار الآثام... مسحه جبريل بجناحه وقت ولادته ليكون ذلك صوناً من مس الشيطان" [تفسير الرازي جزء ٣ ص ٦٧٦].

وعن أبي هريرة قال [سمعت رسول الله (ص) يقول ما من مولود من بنى آدم إلا نخسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخاً من لمسه إياه ، إلا مريم وابنها]

وجاء في البخاري:

" ابن آدم يطعنه الشيطان في جنبه بإصبعه حين يولد غير عيسى ابن مريم ذهب (الشيطان) ليطعن فطعن في الحجاب. أي لم يمسه بشيء".
من هذا يتضح لنا جلياً أن المسيح هو وحده الطاهر الذي لم يستطيع الشيطان مسه. وبهذا اكتمل في المسيح شروط الفادي الكاملة: غير المحدودية، الإنسانية، الطهارة.

ثالثاً : عمل الفداء

أوضحنا في حديثنا عن عمل الفداء في المسيحية أنه شمل عدة أمور جوهرية قد تمت بالمسيح وهنا نرى شهادة الإسلام أيضاً لذلك.

١- الرحمة:

فالفداء هو عمل رحمة الله إذ جاء بالحديث في صحيح البخاري: "ما منكم أحد يدخل الجنة إلا برحمة الله تعالى قيل ولا أنت يا رسول الله ؟ قال ولا أنا إلا يتغمدني الله برحمته . والقرآن يلقب المسيح أنه هو رحمة الله كما جاء في:

سورة مريم : (ولنجعله (أي المسيح) آية للناس ورحمة منا).

٢- الشفاعة:

وقد وضح القرآن وأئمة الإسلام أن الشفاعة هي:

(أ) من حق الله وحده:

كما ذكر في سورة السجدة : (الله الذي خلق السموات والأرض .. مالكم من ولى ولا شفيع) .
وفي تفسير الجلالين تفسير هذه الآية . (من دونه) أي غيره (ولى) أي ناصر، (شفيع) أي يدفع عذابه عنكم .

(ب) الشفاعة منسوبة للمسيح:

فقد نسب القرآن الشفاعة للمسيح بقوله في سورة آل عمران: "إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها في الدنيا والآخرة".
وقد أجمع المفسرون: الرازي والزمخشري والبيضاوي والنسفي وغيرهم على أن "الوجهة في الآخرة هي الشفاعة"

٣- الموت عن البشرية:

سورة المائدة :

"كتبنا على بنى إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً)
والمسيح الذي قتله بنو إسرائيل دون أن يقتل أحداً، بل على العكس كان يحيى الموتى، ودون أن يفسد في الأرض، بل هدى الناس إلى السلام، فهم بذلك كأنهم قتلوا الناس جميعاً.

٤- إحياء البشرية:

في سورة المائدة جاء القول:

"كتبنا على بنى إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً. ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً)
والمسيح بعد أن توفاه الله على أيدي اليهود الماكريين، ورفع له إليه أي أحياه فكأنما أحيا الناس جميعاً. والشهادات على قيامة المسيح من الأموات كثيرة نقتصر منها على ما يأتي:-

سورة مريم:

"والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا".

سورة آل عمران:

"إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي".

قال وهب :-

(توفى الله عيسى ثلاث ساعات ثم رفعه إلى السماء فذلك قوله تعالى (إني متوفيك ورافعك إلي)
من هذا نرى أن المسيح قد قام من الأموات واعتبرت قيامته هذه هي إقامة لكل البشرية معه، وهذا من بركات الفداء العديدة.

الاعتراضات والرد عليها

الاعتراض الأول:	المسيح لم يصلب
الاعتراض الثاني:	شبه لهم!!
الاعتراض الثالث:	ألا تكفي التوبة دون صلب
الاعتراض الرابع:	ما ذنب المسيح ليصلب عن الناس

الاعتراض الأول: المسيح لم يصلب!

ورب معترض يقول أن المسيح لم يصلب يقينا، معتمدا على قول القرآن في:

سورة النساء آية ١٥٧

"وقولهم (أي يقول اليهود) إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله. وما صلبوه ولكن شبه لهم.... وما قتلوه يقينا"
وأصحاب هذا الاعتراضات يرون أن القرآن يؤكد بما لا يدع مجالا للشك أن المسيح لم يصلب ولم يقتل بحسب ما هو ظاهر من هذه الآية!!

ولكن دعنا نضع إلى جوارها بعض الآيات القرآنية الأخرى وبعض أقوال علماء المسلمين والمفسرين لنستوضح حقيقة ما تقصده هذه الآية، وإليك بعض تلك الآيات القرآنية فيما يلي:

سورة آل عمران:

"مكروا (أي اليهود) ومكر الله والله خير الماكرين. إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلى ومطهرك من الذين كفروا". فمن هذه الآية يتضح أن المسيح قد توفي قبل أن يرفع للسماء.

سورة مريم:

"والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا) ومن هذه الآية يتضح أن المسيح مات قبل أن يبعث حيا.

سورة المائدة:

(فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم) من هذا أيضا يتضح أن المسيح توفي على أيدي اليهود وكان الله رقيباً عليهم.

ودعنا نستعرض أقوال علماء المسلمين في تفسير هذه الآيات:

١- الإمام الرازي قال

(روى ابن عباس ومحمد ابن اسحق أن معنى متوفيك (أى مميتك) (تفسير الرازي جزء ٢ ص ٤٥٧)

٢- وقال وهب :

"توفى المسيح ثلاثة ساعات" (تفسير الرازي جزء ٢ ص ٤٥٧)

٣- وقال ابن اسحق:

"توفى سبع ساعات" (تفسير الرازي جزء ٢ ص ٤٥٧)

من هذا يتضح أن المسيح قد توفي فعلاً. أما منكرو الصلب فقد اختلفوا فيما بينهم وبنوا رأيهم على أقاويل غير ثابتة وحتى في إنكارهم للصلب نرى فيها شهادة للصلب فقد قال:

٤- الإمام البيضاوى:

"قال قوم صلب الناسوت وصعد اللاهوت"

(تفسير البيضاوى جزء ٢ صفحة ١٢٨)

الواقع أن قول البيضاوي هذا صحيح من جهة صلب الناسوت ولكنه غير صحيح في من جهة ما يقوله عن صعود اللاهوت، لأننا نؤمن أن الصلب حدث للناسوت فعلاً وهو الذي تأثر بعملية الصلب أما اللاهوت فلم يفارق الناسوت لحظة واحدة ولا طرفة عين، وإن كان اللاهوت لم يتأثر بعملية الصلب، ويمكن فهم هذه الحقيقة عندما ننظر إلى قطعة من الحديد المحماة بالنار، عندما نطرقها بمطرقة نجد أن الحديد فقط هو الذي يتأثر بالطرق، أما النار فلا تتأثر.

عموماً إن هذا القول الذي ذكره الإمام البيضاوي سابقاً وإن كان غير صحيح من جهة ما قاله عن صعود اللاهوت، لكننا نرى فيه إشارة جلية بأن المسيح قد صلب فعلاً بالناسوت (ونحن نؤمن أيضاً أن اللاهوت لم يفارق الناسوت).

الاعتراض الثاني: شبه لهم!!

من منطلق الآية القرآنية المذكورة في الاعتراض السابق وهي:
سورة النساء آية ١٥٧ "وقولهم (يقصد اليهود) إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله. وما صلبوه ولكن شبه لهم.... وما قتلوه يقيناً"
يستنتج المعارضون من هذه الآية أن المسيح لم يصلب ولكنه شبه لهم.
الإجابة: أني لا أريد أن أجيب على هذا الاعتراض من عندي ولكني أترك أحد كبار علماء تفسير القرآن وهو الفقيه الكبير الإمام الرازي يجيب بنفسه، إذ أقتبس تعليقه على هذا التعبير ذاته (شبه لهم):

(تفسير الرازي جزء ٣ ص ٣٥٠) قال:

"إن جاز أن يقال أن الله تعالى يلقي شبه إنسان على آخر فهذا يفتح باب السفسطة. فلربما إذا رأينا (زيداً) فلعله ليس (بزيد) ولكن ألقى شبه "زيد" على شخص آخر!! وإذا نكح (أي تزوج) رجل (فاطمة)، فلعله لم يتزوج (فاطمة) ولكن ألقى على (خديجة) شبه (فاطمة) فيتزوج خديجة وهو يظن أنها فاطمة".
وخلص الإمام الرازي إلى حقيقة خطيرة فقال:

"لو جاز إلقاء شبه أحد على شخص آخر فعندئذ لا يبقى الزواج والطلاق والملك موثقاً به".

فالإمام الرازي يستبعد أن يكون المقصود من هذا التعبير "شبه لهم" هو إلقاء شبه المسيح على إنسان آخر!! بل ربما أراد القرآن أن يقول أن معنى "شبه لهم" هو أنهم بصلبهم للمسيح قد ظنوا أنهم قد قضوا على رسالته، ولكن هيهات أن يقضوا عليها، بل شبه لهم ذلك.

الاعتراض الثالث: ألا تكفي التوبة دون صلب؟

ورب اعتراض آخر يقول: أما كان يكفي أن الإنسان يتوب فيقبل الله توبته ويغفر ذنبه، عملاً بقول الآية القرآنية التالية:
سورة البقرة ٣٧: "فتلق آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه التواب الرحيم".
الإجابة: الواقع أن عملية غفران الذنب لها جوانب متعددة منها:

الجانب الأول:

التوبة والندامة: فلا بد أن يتوب المخطئ ويندم على خطيئته وإلا فلن يغفر له ذنبه. والكتاب المقدس يوضح ذلك بقول المسيح: "إن لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون" (لوقا ١٣: ٣).

والقرآن أيضاً يوافق على ذلك من أجل هذا جاءت الآية القرآنية السابقة "فتلق آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه التواب الرحيم" (سورة البقرة ٣٧).
ولكن هل التوبة كافية وحدها للغفران؟

الواقع أنه بالرغم من أن التوبة هي عمل ضروري للغفران ولكنها تمثل الندامة على ما فعله الإنسان وعزمه على عدم عودته إلى ذلك مرة أخرى في المستقبل. ولكن بقي جانب آخر هام وهو علاج ما فعله الإنسان في الماضي حتى يغفر له.

دعني أوضح لك القصد من هذا الكلام بإعطاء مثال من واقع الحياة ثم أطبق ذلك على موضوع حديثنا. فمثلاً إن حطم شخص سيارتك بعربته، فيأتي إليك ويعتذر لك قائلاً أنا أتوب أن أحطم سيارتك فيما بعد، فهل هذا يكفي لتصفح عنه؟ وهل هذا الاعتذار سيعوض لك سيارتك؟ أم لابد له أن يعطيك اسم شركة تأمين سيارته لتقوم الشركة بعمل الإصلاحات اللازمة لسيارتك أو إعطائك مبلغ التأمين لتشتري غيرها إن كانت إصابتها شديدة؟!

والآن دعني أطبق الأمر على موضوع حديثنا، فالسيئة التي يرتكبها الإنسان لا يكفي أن يقدم عنها اعتذار أو مجرد توبة بل لابد من تقديم كفارة أو فداء أو ضحية حتى يمكن غفران الماضي. وهذا ما سوف نتكلم عنه فيما يلي:

الجانب الآخر هو الكفارة أو الفداء أو الضحية:

موضوع الكفارة والفداء أمر حتمي للمغفرة وهذا واضح في المسيحية والإسلام.

ففي المسيحية تقول الآية صريحة في الإنجيل في رسالة يوحنا الأولى الإصحاح الثاني في الآية الأولى والثانية: "يا أولادي أكتب إليكم هذا لكي لا تخطئوا، وإن أخطأ أحد فلنا شفيع عند الأب يسوع المسيح البار وهو كفارة لخطايانا، ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم أيضاً".
ولكن ما هي أنواع الكفارة في الإسلام يا ترى؟

الواقع أن هناك أنواع عديدة من الكفارة في الإسلام، ذكرت بعضها في الآية التالية:
سورة المائدة آية ٨٩

"لا يؤاخذكم الله باللغو (أي غير المقصود) في أيمانكم (القسم أي الحلفان) ولكن يؤاخذكم بما عقدتم (أي عن عمد) الأيمان (القسم) فكفارته إطعام عشرة مساكين... أو كسوتهم أو تحرير رقبة (تحرير عبد) فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم..."

واضح من هذه الآية أنه لا بد وأن تكون هناك كفارة للسيئات، فالسيئة المذكورة في هذه الآية هي تعمد الأيمان، والكفارة المطلوبة لمغفرتها هي: إما إطعام عشرة مساكين، أو كسوتهم، أو إطلاق عبد وتحريره، أو صوم ثلاثة أيام.

أما إذا كان الذنب من الكبائر فلا بد أن الله هو الذي يكفر عنه بحسب ما جاء بالآية القرآنية التالية:

سورة التباين آية ٩ قوله:

"ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجري من تحتها الأنهار...." من هذا يتضح أن الله لا بد أن يكفر عن السيئات حتى يغفرها.

والواقع أن الكفارة الحقيقية للخطايا في الإسلام هي كما أشرنا إليها سابقا في صدد الحديث عن عيد الضحية، فدعني أذكرك بها ثانية:

٢- ذبائح عيد الأضحى:

فعيد الأضحى يعرف باسم (عيد التضحية والفداء) (جريدة أخبار اليوم بتاريخ ١٩٦٤/٤/٢٥) والذبائح التي تتحر فيه هي بقصد الفداء أو الكفارة كما يتضح مما يلي:

+كتاب دين الإسلام : يسمى عيد الأضحى في بلاد الفرس (عيد قربان) أي الذبيحة، ويقال أثناء الوضوء في هذا العيد هناك: (اللهم اجعل هذه الذبيحة كفارة عن ذنبي وانزع الشر مني). (ص ٣٦٧) كتاب الفقه:

روى مسلم عن أنس رضى الله عنه قال: ضحى النبي صلى الله عليه وسلم بكبشين أملحين أقرنين ذبحهما بيده الكريمة (جزء ١ ص ٧١١)

كتاب مشكاة المصابيح:

ذكر أن النبي وهو يذبح الكبشين قال: "اللهم هذا عنى وعن لم يضح من أمتي" (ص ٤٢)

كتاب إحياء علوم الدين:

روى البزار وأبو الشيخ عن أبي سعيد قالاً: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا فاطمة قومي إلى أضحيتك فأشهديها، فإن لك بأول نظرة من دمها أن يغفر لك ما سلف من ذنوبك. (جزء ١ ص ٢٤٣)

❖ كتاب إحياء علوم الدين: جاء فيه: "وأما ذبح الهدى (أي الضحية) هو تقرب إلى الله تعالى. فعليك أن تكمل الهدى (الضحية) واطلب أن يعتق الله بكل جزء منه (أي من الهدى أو الضحية) جزءاً منك من النار. فكلما كان الهدى (أو الضحية) أكبر وأجزؤه أوفر كان فداؤك من النار أعم" (جزء ١ صفحة ٢٤٣)

من كل هذا يتضح لك جيداً أن ذبائح عيد الضحية يقصد بها الفداء والتكفير وبهذا قد اتضح لنا إقرار الإسلام بفكرة الفداء.

الاعتراض الرابع: ما ذنب المسيح ليصلب عن الناس؟

وقد يعترض أحدهم قائلا "ما ذنب المسيح البريء حتى يدفعه الله لأن يقتل؟ ألا يتنافى هذا مع حقيقة (الله محبة)؟"

الواقع أن هذا السؤال وجهه إلي الدكتور نجم عبد الكريم مدير إذاعة كل العرب في الحوار الذي دار بيننا على الهواء مباشرة في ١٩٩٤/٤/١. ولهذا أفضل أن أقتبس الرد الذي قلته له في ذلك الحين (ولزيادة الإيضاح اقرأ كتابنا عن هذا الحوار):

تسألني كيف تؤخذ نفس طاهرة وتمتص غضب الله ويقتل؟ ما ذنبه؟ وكيف يكون هذا موافقا لحب الله؟
دعني أقول لك هاتين الآيتين من القرآن :-

١- في سورة البقرة آية ٦٠ "كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق".

٢- وفي سورة البقرة آية ٨٦ "أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوي أنفسكم استكبرتم ففريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون".

إذن فهناك نفوس نبيين تقتل بغير الحق أي لم يفعلوا شيئا يستحقون عليه القتل فهم أبرياء أطهار. وقد سمح الرب بذلك ليوضح محبته للناس بإرسال هؤلاء الأنبياء الأبرار فقتلهم الناس الأشرار، ولكن الله سوف يعاقب هؤلاء القتل في حين أنه سوف يكافئ الأنبياء على تضحياتهم وصبرهم وتحملهم القتل في سبيل الله. وهكذا الأمر مع المسيح الذي تقدم بحب وتحمل هذا الموت لأجل جميع الناس. وهذا لا يتعارض مع محبة الله، بل إنها المحبة المضحية الباذلة تلك التي تتحمل فدية الإنسان بدافع الحب لأجل الغفران. هذا هو المبدأ الذي نحن نؤمن به، وتؤمن به المسيحية في قضية الفداء والغفران .
المذيع الدكتور نجم :- جميل، جميل، جميل ...
أعتقد أنه في هذا الرد إجابة شافية عن هذا الاعتراض.

الخاتمة

أخي المحبوب القارئ العزيز بعد هذا البحث الطويل أرجو أن لا أكون قد أرهقتك بكثرة التفاصيل والاستدلالات من الكتب والأقوال. وأرجو أن تكون قد استمتعت بهذه الجولة في مروج الأرض المشتركة بين المسيحية والإسلام حول هذا الموضوع الهام للغاية وهو صلب المسيح وحتمية الفداء.

وقبل أن أودعك في هذا الكتاب أريد أن أختم حديثي معك بقصة واقعية سمعتها من شاهد عيان.

وتبدأ القصة عندما كان الأب نائما في بيته بعد يوم طويل من الإرهاق، وإذا به في منتصف تلك الليلة يسمع باب البيت يفتح بقوة ثم يغلق بسرعة ليحدث دويا في فتحه وإغلاقه الأمر الذي جعله يقفز من سريره مذعورا ويندفع خارج حجرة نومه ليستكشف الأمر. وإذا به يفاجأ بمشهد رهيب لم يكن يتوقعه. إذ شاهد ابنه الوحيد وثيابه ملطخة بالدماء، وللوقت أدرك الأمر، وصح تخمينه لقد ارتكب ابنه جريمة قتل. فأسرع الأب يطلب من ابنه أن يخلع ثيابه ويلبس ثياب أبيه بعد أن سلخ جسده منها. وما أن تبادل الاثنان الثياب حتى اندفع رجال الشرطة إلى البيت وتم القبض على الأب اللابس الثياب الملطخة بالدماء دليل ارتكاب الجريمة.

وقدم الأب للمحاكمة، ووجهت إليه تهمة القتل. وظل الأب صامتا طوال المحاكمة رغم الجهود المبذولة من هيئة المحكمة والنيابة والمحامين. وأخيرا صدر الحكم بإعدامه استنادا على الدليل المادي الثياب الملطخة بالدماء.

وفي يوم تنفيذ الحكم بالشنق طلب أن يتحدث إلى ابنه، وهمس في أذنه قائلاً: اليوم إنني أشنق عوضاً عنك لأفتديك حتى أترك لك فرصة للتوبة وإصلاح مسار سلوكك.

هل رأيت يا أخي مقدار الحب الأبوي الذي يضحي بنفسه لفداء من يحبه. مع بعد الفارق أقول أن هذه مجرد صورة باهتة لما فعله المسيح معنا إذ أن فداءنا اقتضى أن يقدم نفسه الطاهرة ضحية من أجلنا وكفارة عن خطايانا.

عزيزي ألا يقودنا هذا إلى قبول فدائه وخلصه الذي قدمه لنا بدافع محبته الشديدة لنا نحن أولاده. الله مستعد أن يقبلك ويغفر كل خطاياك إن قبلته وإن رجعت إليه تائباً. الرب معك ويمتلك بخلصه العجيب آمين.